تمهيد:

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألاّ إله ألاّ الله، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله، اللّهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد النّبيّ العربيّ الأمّيّ الأمين، المبعوث رحمة للعالمين صاحب المعجزات الباهرات والآيات المبينات وعلى آله وصحبه إلى يوم الدّين ...أما بعد:

فإنّ القرآن الكريم كلام الله المعجز للخلق أجمعين؛ في ألفاظه وتراكيبه وأسلوبه وفي نظمه، في علومه وحكمه، وفي تأثير هدايته للبشر، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في كم من آية من آياته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة:٢٣).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾. (الإسراء: ٨٨).

إلى غير ذلك من الآيات الكريمات التي تدلّ دلالة قطعيّة على استحالة الإتيان بمثل شطر آية من آي القرآن الكريم.

هذا وقد تبارى العلماء والمفكرون في الكشف عن أوجه الإعجاز القرآني؛ فمنهم من توجه إلى لغته وأسلوبه وطريقة صياغته، ومنهم من توجه إلى ما تلألأ فيه من لمحات المعارف وإشارات العلوم المختلفة التي تم الوصل إليها والتي تستشرف آفاقا ما زالت

مجهولة أمام العلماء والباحثين، وهكذا القرآن الكريم بحر غائر ليس له قرار. معجز ولإعجازه وجوه متعدّدة من أعظمها وأتمّها الإعجاز البياني الذي ينتظم في القرآن كلّه؛ حيث يوجد في كلّ سورة من سوره، وفي كل آية من آياته، ونلمس ذلك إذا تدبّرنا التّناسب بين الآية القرآنية وفواصلها، وهذا -كما أشار سادتنا العلماء- لا يتيسّر إلاّ لمن أعمل الفكر، وأطال النّظر في سور القرآن الكريم وآياته.

والأمر الذي ينبغي التّنبيه إليه في هذه الدّراسة هو أنّ علم المناسبات بين الآيات والسّور، وغير ذلك من أنواع المناسبات لا ينبغي أن يكون دون فائدة، بل لابد أن يقوم على أساس متين، ويستند إلى ركن ركين معتمدا في كلّ ذلك على قرائن وأدّلة تؤيّد تقرير وجه هذه المنّاسبة، أمّا التّكلف في استخراج وجوه المناسبات من غير دليل يُستند إليه، أو أمر يقوم عليه فهو أمر مرفوض، لا يُلتفت إليه.

هذا المنهج الفريد استرعى جهود العلماء والمفسّرين قديما وحديثا، فانكبّوا على دراسته وأفردوا له علما مستقلا يدرس خصائصه ويحدّد معالمه أطلقوا عليه اسم ‘‘علم المناسبة‘‘.

ومن هنا كانت هذه الدّراسة حول المناسبة بين الفواصل القرآنية، ومعنى الآية التي اختتمت بها، فقد يلحظ التّالي والقارئ لها (الآيات) القفزة التي تعرض في تلاوته ممّا يشعره بغريب انتقال بين الآيات المتلوّات، لا يهتدي إلى سبر أغوارها، وفكّ مغازيها إلاّ جلوسه الطّويل التّأمّل للمناسبة الرّابطة بين هذه الفواصل أو الآيات، وقد نحوت في هذه المقالة البحثيّة الخطّة التّالية:

مقدّمة:

المطلب الأوّل: تعريف المناسبة لغة، واصطلاحا.

المطلب الثّاني: أنواع علم المناسبة في القرآن الكريم، وأقوال العلماء في أهميته.

المطلب الثّالث: التأليف في علم المناسبة بين الماضي والحاضر.

خاتمة:

مقدّمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن هاديا للعالمين، ولم يجعل له عوجا قيّما، خاطب فأفهم فأقنع فاستمال بإعجاز مستمرّ لانقطاع له حتّى السّاعة، وبأقل آية منه حتّى، ولعلّ شهادات أوائل معارضي الوحي لهى قاصمة مُدّعيات آتية آناءها ناهيك عمّا جاء بعدها، وهلمّ جرى إلى زمن الرّداءة هذا، وما كلّ ذلك إلاّ للمصدر العليّ خضعنا له ذليلين راغمي نيوفنا، وما أجمل ما قاله الشّيخ عبد الله درّاز(١) في هذا المقام وما يحتّمه: " إنّك لتقرأ السّورة الطّويلة المنجّمة، يحسبها الجاهل أضغاثا من المعاني حشيت حشوا، وأوزاعا من المباني جمعت عفوا، فإذا هي لو تدبّرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كلّ أصل منها شعبة وفصول، وامتدّ من كلّ شعبة منها فروع تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد، قد وضع رسمه مرّة واحدة... ولماذا نقول: إنّ هذه المعاني تنتسق في السّورة كما تنتسق الحجرات في البنيان؟ لا بل إنّها لتلتحم كما تلتحم الأعضاء في جسم

الإنسان، فبين كلّ قطعة وجارتها رباط موضعيّ من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشّرايين والعروق والأعصاب، ومن وراء ذلك كلّه يسري في جملة السّورة اتجاه معيّن، وتؤدي بمجموعها غرضا خاصا، كما يأخذ الجسم قواما واحدا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية (٢)". ولعلّنا بعد هذا نمرّ مباشرة إلى بقيّة البحث فالمقام ها هنا يطول.

المطلب الأوّل: تعريف المناسبة:

١. لغة: تعني المقاربة والمشاكلة، يقال: بين الشّيئين مناسبة وتناسب، أي مشاكلة وتشاكل(٣) "، ويلاحظ عنايتها أمرين اثنين هما: المقاربة والمشاكلة، وهو ما لم تعنه في تعريف ابن فارس في معجم مقاييس اللّغة، حيث قال: " النّون، والسّين، والباء، كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، ومنه النّسب سميّ لاتصاله، ولاتصال به، تقول: نسب أنسب، وهو نسيب فلان والنّسيب: الطّريق المستقيم لاتصال بعضه ببعض(٤)". فقد أدّت معنى مضافا هو الاتّصال والطّريق المستقيم.

٢. اصطلاحا: هي الرّابطة بين شيئين بأيّ وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السّورة بما قبلها وما بعدها وهي في الآيات تعني وجه الارتباط في كلّ آية بما قبلها وما بعدها (٥). ويبدو أنّ هذا التّعرف؛ وهو تعريف الدّكتور مصطفى مسلم(٦) هو الأنسب، والأقرب، والمرجّح لإدراك الكنه والماهية لعلم المناسبة؛ لأنّه يشتمل على المناسبة بين الآيات في السّورة الواحدة، والمناسبة بين السّورة والسّورة التي قبلها، والتي بعدها، وذلك ممّا يدلّل، ويعلّل التّرابط والاتصال بين السّور.

المطلب الثّانيّ: أنواع علم المناسبة في القرآن الكريم، وأقوال العلماء في أهميته.

أوّلا: أنواع المناسبات في القرآن الكريم: سنحاول إلقاء الضّوء على قسمين رئيسيين من المناسبات لشمولهما غيرهما ممّا قد يلتمس له أنّه نوع مستقلّ، أو أنّه غير منطو تحتهما، وسنحاول ذكر -ما استطعنا إلى ذلك سبيلا- أنواع كلّ قسم مع المثال الذي يخصّ كلّ نوع منها:

القسم الأوّل: المناسبات في السّورة الواحدة، وفيه:

النّوع الأوّل: المناسبة بين أجزاء، أو كلمات الآية نفسها: بداية جدير بالذّكر أنّ التّناسب بين أجزاء الآية يكون من حيث اللّفظ والمعنى؛ فأمّا من ناحية اللّفظ؛ فنعني به مناسبة اللّفظة لألفاظ الآية، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ (يوسف: ٨٥)، فقد جاءت الألفاظ بحيث يلائم بعضها بعضا، وذلك بأنّه أتى في الآية بألفاظ متناسبة في الغرابة؛ فالتّاء أغرب ألفاظ القسم، وذلك لأنّها أقلّ استعمالا من الواو والباء، وأتى بلفظ (تفتؤا)، وفتئ أغرب صيغ الأفعال التي تفيد الاستمرار من أخوات كان، وأتى بلفظ (حرضا)، وهو أغرب ألفاظ الهلاك، فاقتضى حسن الوضع في النّظم أن تجاور كلّ لفظة بلفظة من جنسها توخّيا في حسن الجوار، ورعاية في ائتلاف المعنى بالألفاظ ولتتعادل الألفاظ في الوضع، وتتناسب في النّظم، كما جاءت هذه الألفاظ غريبة لتتوافق مع حالة يعقوب- **عليه السّلام**- التي وصل إليها، وإشفاق أبنائه على حاله، وخشيتهم عليه من الهلاك (٧)، وأمّا تناسب اللّفظ من حيث المعنى؛ ففي مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (هود :١١٣) ؛ فإنّ الله-

تعالى- لمّا نهى عن الرّكون إلى الظّالمين؛ وهو الميل إليهم والاعتماد عليهم، وكان ذلك دون مشاركتهم في الظّلم، أخبرأنّ العقاب على ذلك دون العقاب على الظّلم (٨). ناهيك هنا عن الكلام في موقع اللّفظة في الآية، والنّظر فيه مختلف تصّريفاتها؛ فذلك أمر جلل هو الآخر يحتار إلى إفراد دراسات كبيرة لا يسمح المقام بالخوض في بعض جنباتها ها هنا.

النّوع الثاني: المناسبة بين الآيات في السّورة الواحدة:

الأصل في الآيات في السّورة الواحدة أن يكون بينها ترابط، قال الإمام الزّركشي:" والذي ينبغي في كلّ آية أن يبحث أوّل كلّ شيء عن كونها مكمّلة لما قبلها أو مستقلّة؛ ثمّ المستقلّة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جمّ(٩) ". ولعلّ من الأمثلة ذكر المثال التّالي؛ فهو ممّا يشعر القارئ عندما يتلوه القفزة المحدثة التي تشدّ الانتباه إليها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(آل عمران: ١٢١)، ثمّ يأتي في أثناء الحديث عن الغزوة قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٣٠)، ثمّ عودة لأحداث الغزوة وأخذ العظات والعبر منها بعد سبع آيات في التّعقيب على آية الرّبا، وقد يستغرب القارئ، ويستبعد وجه المناسبة بين الآيات في سرد أحداث الغزوة (١٠)، والآيات في النّهي عن أكل الرّبا مفهوما ومنطوقا (١١)، وبالرّجوع إلى أسباب النّزول يتّضح أنّ حادثة الأصيرم (١٢) كان سببها التّعامل بالرّبا؛ فقد روى أبو داوود في سننه عن أبي هريرة- **رضي الله عنه** - أنّ عمرو بن وقش-**رضي الله عنه** - كان له ربا في الجاهلية فكره أن يسلم حتّى يأخذه، فجاء يوم أحد فقال: أين بنو عمّي؟ فقالوا: بأحد، قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد، قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد فلبس لأمته، وركب

فرسه، ثمّ توجّه قبلهم، فلمّا رآه المسلمون قالوا: إليك عنّا يا عمرو قال: إنّي قد آمنت فقاتل حتّى جرح فحمل إلى أهله جريرا، فجاء سعد بن معاذ -**رضي الله عنه**- فقال لأخته: سليه حميّة لقومك أم غضب لهم؟ أم غضب لله-**عزّو جلّ**-؟ فقال: بل غضب لله-**عزّ و جلّ**-، ورسوله-**صلّى الله عليه وسلّم**-فمات فدخل الجنّة، وما صلّى لله -**عزّ وجلّ**- صلاة (١٣).

كما أنّ المناسبة بين الآيات يكون الارتباط فيما بين الآية والآية فيها منقسما إلى قسمين اثنين:

- أن يظهر الارتباط بين الآية الثّانية والآية الأولى؛ بأن كانت الآية الثّانية سببا للأولى، أو مفسّرة لها أو مؤكّدة لها، أو بدلا منها، أو جاءت معترضة؛ والأمثلة على كلّ هذا كثيرة لا يسمح المقام بذكر جزء منها.

- وما لا يظهر الارتباط فيه بين الآيتين؛ فلقد جرت عادة القرآن إذا ذكر أحكاما أن يذكر بعدها وعدا ووعيدا ليكون داعيا إلى العمل حاثّا عليه، ثمّ يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الآمر والنّاهي، فيُلحظ-في الظّاهر-استقلالية وتباعد بين الآيات، أو أنّها خلاف النّوع المبدوء به، وهذا القسم بدوره ينقسم إلى قسمين(١٤):

١. أن تكون الآية الثّانية معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف؛ فتشاركها وتأخذ حكمها، ولابدّ أن تكون بينهما جهة جامعة، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٥)؛ فالجهة الجامعة هي التّضاد، وأمثلة هذا القسم تظهر وتتجلّى في الطّباق(١٥) والمقابلة(١٦) ؛ فأمّا الطّباق فهو أن يجمع بين متضادّين مع الأخذ مراعاة

التّقابل مثل البياض والسّواد، واللّيل و النّهار وهو قسمان: لفظيّ ومعنوي فاللّفظي مثل قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (التوبة: ٨٢)، وأمّا المعنوي؛ فمثل قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ (يس: ١٥-١٦) ومعناه: ربّنا يعلم إنّا لصادقون. وأمّا المقابلة فمثالها قوله تعالى: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ (القيامة: ٣١- ٣٢) فالمقابلة كائنة بين: صدّق وكذّب، وبين صلّى الذي هو: الإقبال على الله تعالى، وتولّى الذي هو: الإعراض عن الله تعالى (١٧).

٢. أن لا تكون الآية الثّانية معطوفة على الأولى: إذا لم يكن هناك عطف بين الجملتين فلا بدّ من دعامة يعتمد عليها في الرّبط؛ فتؤذن بارتباط الكلام، وهي قرينة يدركها المستنبط المتدبّر ببصيرته؛ بإلحاق النّظير بالنّظير مثلا (١٨). ولا أدلّ على ذلك من المثال الآتي: قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال: ١) ثمّ بيّنت أوصافهم، وخُتم ذلك بقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ ﴾ (الأنفال: ٤)، وذكر جزاءهم، فقال تعالى: ﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٤) ، والنّظير ها هنا في أنّ الغنائم لمّا انتزعت من أيدي المجاهدين في أوّل الأمر وجعلها له تعالى وللرّسول، تألّم بعضهم لحرمانه منها؛ فألحق الله –تعالى– ذلك بكراهيتهم للخروج إلى الجهاد أوّل الأمر، وتبيّن بعد ذلك أنّ في الخروج الغنيمة والنّصر وعزّ الإسلام وهلاك الأعداء، فكأنّه يقول تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:

٢١٦) (١٩) ، وهذا ممّا يمتاز به القرآن الكريم، حيث لا يدع شيئا إلاّ بيّنه وإن تباعدت الآيات زمانا ومكانا، فقط يحتاج إلى إدامة النّظر، وإعمال الفكر، وطول السّهر، وافتراش المدر.

ومن الرّوابط بين الآيات في السّورة الواحدة: الاستطراد(٢٠)، والانتقال من حديث إلى حديث تنشيطا للسّامع والرّبط بين الحديثين باسم الإشارة، وحسن التّخلص: وذلك كأن يصل إلى غرضه أثناء الحديث عن شيء إلى شيء آخر، ولعلّ المتأمّل في الآيات الآتيات من سورة (الأعراف: ١٥٦-١٥٩) يتّضح له شيئا ممّا ذكر. وذلك عند قوله تعالى ﴿ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴾ ؛ فيلاحظ الانتقال إلى الحديث عن قوم سيّدنا موسى- **عليه السّلام**- بعد الحديث عن سيّدنا محمّد-**عليه الصّلاة والسّلام**- في نوع من الانتقال الذي يشدّ الانتباه.

النّوع الثالث: المناسبة بين افتتاحية السّورة وخاتمتها.

لقد أفرد الإمام السّيوطي رسالة عنوانها: "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع (٢١)" للكلام عن مناسبة فواتح السّور لخواتمها، وهناك من سبق الإمام السّيوطي في الإشارة إلى هذه المناسبات على غرار الأئمّة؛ الرّازي وأبي حيّان الأندلسي، والبقاعي؛ إذ يقول الإمام أبو حيّان الأندلسي: " وقد تتبّعت أوائل السّور المطوّلة فوجدتها يناسبها أواخرها بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء، وذلك من أبدع الفصاحة؛ حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطّول بأوّله (٢٢)". ومن أمثلة هذه الحالة نجد: في قوله- **صلّى الله عليه وسلّم**- عن افتتاحية سور الكهف وخاتمتها فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث قتادة عن أبي الدّرداء عن النّبي- **صلّى الله عليه وسلم**- قال: " من حفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف عصم من الدّجّال "، وفي رواية أخرى عند مسلم عن شعبة قال: " من آخر سورة الكهف (٢٣)"، والرّوايتان- كما قال علماء الحديث- صحيحتان مقصودتان من النّبي- **صلّى الله عليه وسلّم**- وليس فيهما شيء من التباس الأمر على الرّواة، كما أنّهما لا تعارض بينهما، إذ أنّه إذا عرف سرّهما المكنون المخبوء- كما فهمه أعلامنا- في مناسبة افتتاحية سورة الكهف وخاتمتها بطل العجب والاستغراب المفضي إلى الحيرة، إذ توجد القضايا المعروضة فيهما نفسها وزّعت هنا وهناك؛ فالحديث عن الكتاب (القرآن)، ومنزّل الكتاب (الله)، والمنزّل عليه (رسول الله)، وموقف النّاس منه في الدّنيا (المشركون) و(المؤمنون)، ومصيرهم في الآخرة (جهنّم)، و(الأجر الحسن؛ الفردوس) والقيمة الحقيقيّة للحياة الدّنيا وما يجري فيها، فكلّ هذه القضايا ذكرت في افتتاحية الكهف، وذكرت مرّة أخرى في خاتمة الكهف بأسلوبين مختلفين في غاية الإيجاز والإعجاز فمن حفظ هذه القضايا، والتزم بها وقرأها باستمرار كانت له عصمة من الدّجال ومن فتنته في الدّنيا وزينتها (٢٤).

وفي شأن افتتاحية سورة الكهف وخاتمتها، يقول سيّد قطب: " أمّا المحور الموضوعيّ للسّورة الذي ترتبط به موضوعاتها، ويدور حوله سياقها؛ فهو تصحيح لمنهج النّظر والفكر وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة، فأمّا تصحيح العقيدة فمقرّره بدؤها و ختامها في قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (الكهف:١-٥)، وفي الختام بقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (الكهف: ١١٠)، والختام في إعلان الوحدانية، وإنكار الشّرك وإثبات الوحي، والتّمييز المطلوب بين الذّات الإلهية، وذوات الحوادث (٢٥) "، وإنّنا لنعجب من هذا التّنسيق الإلهي الرّباني المحكم ! ممّا يحدو بنا إلى طرح التّساؤل الآتي: أليس هؤلاء الكتّاب، والشّعراء خاصّة يستمدّون تنسيق نسج المقالات والقصائد من وحي القرآن تقليدا له بأن يكون المطلع، أو المبدأ هو الختام؟ ! بل أليس كبار مخرجي السّيناريو في العالم حالهم كذلك؛ إذ مبدأ الفلم يكاد هو الختام له؟.

النّوع الرابع: المناسبة بين اسم السّورة ومحورها.

إنّ كثيرا من سور القرآن الكريم عرفت أسماؤها توقيفا من النّبي- **صلّى الله عليه وسلّم،** وبعضها اشتهرت بوصفها وبعض السّور كان السّلف الصّالح يذكرها بالسّورة التي يذكر فيها كذا وكذا، كما أنّ كثيرا من تسميات السّور مرجعها إلى افتتاحها بذلك الأمر الذي سمّيت به ، ولذلك نظائر في شعر العرب؛ كتسمية قصيدة كعب بن زهير بن أبي

سلمى بـ (بانت سعاد)، وتسمية قصيدة امرؤ القيس بـ (قفا نبك)، وفي هذا الصّدد يقول الأستاذ المكي ابن عقيلة: " من دواعي التّسمية به، أو مناسبة الاسم لأوّل السّورة لكونه الأوّل؛ كالتّرجمة لباقي السّورة، وكأنّهم يلفتون إلى علاقة الاسم بمطلعها الذي يقوم باقي السّورة بتفصيله (٢٦)".

وأكثر من اهتمّ بالمناسبة بين الاسم والموضوع هو الإمام البقاعي، إذ قال: " إنّ اسم كلّ سورة مترجم عن مقصودها(٢٧) ". ومثال ذلك: سورة المائدة: حيث سميّت باسم المائدة التي طلبها بنو إسرائيل من المسيح عيسى بن مريم –عليه السّلام–(٢٨)، وقال الإمام أبو جعفر بن الزّبير الغرناطي عن سبب التّسمية بالمائدة: " وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها فسمّيت بما يخصّها(٢٩) ".

القسم الثّاني: المناسبات بين السّور.

ونتطرّق إلى نوع واحد فقط لكونه –تقريبا–شاملا لغيره، أو أنّ غيره فرع عنه، وهذا النّوع هو: المناسبة بين خاتمة السّورة، وافتتاحيّة ما بعدها. وهو ينشطر إلى نوعين لهما عدّة أوجه:

النّوع الأوّل: التّناسب بين السّور المتجاورة.

النّوع الثّاني: التّناسب بين السّور ذوات المطالع المتشابهة.

إنّ للتّناسب بين السّور المتجاورات أوجه عدّة منها:

١) **التّناسب بين الأطراف:** ويقصد به التّناسب بين آخر السّورة، ومطلع التي تليها، قال الإمام الزّركشي: " وإذا اعتبرت افتتاح كلّ سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به

السّورة التي قبلها، ثمّ هو يخفى تارة ويظهر أخرى (٣٠)". وقد أطلق الإمام السّيوطي على المناسبة بين خاتمة السّورة وافتتاح ما بعدها؛ تشابه الأطراف(٣١). ومن الأمثلة على التّناسب بين الأطراف في السّور القرآنية المتجاورة:

خاتمة الإسراء وفاتحة الكهف: إنّ خاتمة الإسراء هي قوله تعالى﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ (الإسراء: ١١١) وفاتحة الكهف هي قوله تعالى﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ (الكهف: ٠١)، قال الإمام البقاعي: " ولمّا ختمت تلك بالأمر للرّسول-**صلّى الله عليه وسلّم**- بالحمد عن التّنزّه عن صفات النّقص لكونه أعلم الخلق بذلك، بدئت هذه بالإخبار باستحقاقه-سبحانه- الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كلّ نقص، منبّها بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدّين، على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيّم (٣٢)"، وهذا الكلام يدلّ على أنّ سور القرآن قد تختم بموضوع ما يكون هو أو كثير من جزئياته هو مبتدأ السّورة التي بعدها في التّرتيب ولا تكرار للموضوعين، بل معالجة بشكل آخر جديد في غاية الرّوعة، وسماقة الأسلوب درجة الانبهار، وبالتّالي التّسليم على أنّ هذا من صنع العزيز الجبّار.

٢)**التّناسب بين الفاتحتين:** إنّ في القرآن الكريم أزواجا، أو مجموعات من السّور المتجاورة تتطابق فواتحها أو تتقارب، أو يكون بينها وجه من وجوه المناسبة، ومثال ذلك: سورة الإسراء والكهف إذ جاء في فاتحة الإسراء قوله تعالى ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء :١)، وجاء في فاتحة الكهف قوله تعالى﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ (الكهف:١)، والمناسبة بينهما أولا: من حيث تكرّر لفظ

(عبده) في الافتتاحيّتين مقصودا بها محمّد **–صلّى الله عليه وسلّم–**، وثانيا: من حيث افتتاح سورة الإسراء بالتّسبيح، والكهف بالتّحميد، هما مقترنان في القرآن وسائر الكلام ، بحيث يسبق التّسبيح التّحميد نحو قوله تعالى﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ (الحجر:٩٨)، وهو القول: " **سبحان الله و بحمده** " (٣٣).

يقول الإمام الرّازي في تعليل تقدّم التّسبيح في الإسراء على التّحميد في الكهف: " التّسبيح أوّل الأمر لأنّه عبارة عن تنزيه الله عمّا لا ينبغي، و هو إشارة إلى كونه كاملا في ذاته، والتّحميد عبارة عن كونه مكمّلا لغيره؛ فلا جرم وقع الابتداء في الذّكر بقولنا: " سبحان الله"، ثمّ نذكر بعده:" الحمد لله"، تنبيها على أنّ مقام التّسبيح مبدأ، ومقام التّحميد نهاية (٣٤)"، وهذه حقيقة قد لا يشعر بها النّاس، ولا يتنبّهون لها إلاّ بإشارات كهاته من الإمام الجليل؛ فجُلّ من كان ذاكرا لله –تعالى– يقول مسبّحا: " سبحان الله، والحمد لله"، ولعلّ أصله هذا الذي في أمر القرآن، وما جاء في سنّة النّبيّ العدنان، عليه أفضل الصّلاة وأزكى السّلام، من تقديم التّسبيح على التّحميد.

٣)**التّفصيل والإجمال:** في بعض الأحيان يذكر أمر ما مجملا في سورة، فتأتي التي بعدها فتفصّله، ومثال ذلك ما نجده بين سورة مريم وسورة طه، قال الإمام السّيوطيّ: " لمّا ذكر في سورة مريم قصص عدد من الأنبياء وهم: زكريا، ويحي، وعيسى، الثّلاثة مبسوطة، وإبراهيم؛ وهي بين البسط والإيجاز وموسى وهي موجزة بجملة، أشار إلى بقيّة النّبيين في الآية الأخيرة (يشير إلى قوله تعالى﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (مريم:٥٨)) إجمالا، وذكر في هذه السّورة (طه) شرح قصّة موسى التي أجملها هناك، فاستوعبها غاية الاستيعاب، وبسطها أبلغ بسط، ثمّ أشار إلى تفصيل قصّة آدم الذي وقع مجرّد اسم هناك، ثمّ أورد في سورة الأنبياء بقيّة

من لم يذكر في مريم (٣٥)"، والكلام هذا يدعو إلى القول بأنّ القرآن يحقّق العدل حتّى في ذكر القصص حسب الحاجة والمقتضى إليها.

٤)**المناسبة بين أسماء السّور:** لقد ضرب الإمام السّيوطي لذلك أمثلة فقال في المناسبة بين سورتي القمر والنّجم:" لا يخفى ما في توالى هاتين السّورتين من حسن التّناسق في التّسمية؛ لما بين النّجم والقمر من الملابسة ونظيره توالى الشّمس والليل والضّحى(٣٦) ".

النّوع الثّاني: المناسبة بين السّور ذوات المطالع المتشابهة.

١. **السّور المفتتحة بالتّسبيح:** قال الإمام الكرماني(٣٧) في هذه النّقطة: " هذه الكلمة (التّسبيح) استأثر الله بها فبدأ بالمصدر منها في بني إسرائيل (سورة الإسراء) لأنّه الأصل، ثمّ الماضي في الحديد والحشر والصّف؛ لأنّه أسبق الزّمنين، ثمّ بالمستقبل في الجمعة والتّغابن، ثمّ بالأمر في سورة الأعلى استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها (٣٨) " فالله أكبر، ولله الحمد على أن أنزل لنا القرآن العظيم دستورا للحياة فما ترك شاردة ولا واردة إلاّ أحاط بها علما بأسلوب يسحر القلوب و العقول فيأخذها كلّ مأخذ، عاثيا بها يمينا وشمالا؛ مزكّيها فمرقّها عنان السّماء .

٢. **السّور القرآنية المصدّرة بالحروف المقطّعة:** في هذه النّقطة يشير الإمام الطّباطبائي بالقول: " إنّ السّور القرآنية المصدّرة بالحروف المقطّعة لا تخلو من ارتباط بين مضامينها، وبين تلك الحروف فالحروف المشتركة، تكشف عن مضامين مشتركة (٣٩)" ولقد كان للدّكتور فاضل صالح السّامرّائي إشارات، ولطائف، وملح جميلة جليلة القدر تخصّ الحروف المقطّعة في السّور القرآنية، نذكر منها قوله: " إنّ كلّ سورة تبدأ بالطّاء ترد فيها قصّة موسى في أوّلها مفصلّة قبل سائر القصص مثل (طه) و(طس) و(طسم في القصص)، و(طسم في الشّعراء)، وليس في المواطن الأخرى ممّا يبدأ

بالحروف المقطّعة مثل ذلك؛ فالقاسم المشترك فيما يبدأ بالحرف (ط) قصّة موسى مفصّلة في أوائل السّورة والملاحظة الأخرى أنّ ما يبدأ بـ (طسم) تكون قصّة موسى فيها أطول ممّا يبدأ بـ (طس) فكأنّ زيادة الميم إشعار بزيادة القصّة (٤٠)".

والجدير بالتّنبيه أنّ هناك أنواعا متعدّدة للتناسب في السّور القرآنية، يكاد لا يأتي عليها عدّ ولا حصر؛ تختلف باختلاف أو تنوّع زوايا الرّؤية والدّراسة فيها، بالإضافة إلى تعدّد النّاظرين إليها بالبصيرة التي أودعها ووزّعها الله على عباده، كيف ما يشاء وعلى من يشاء، فتبارك الله أحسن الخالقين، ولعلّنا نجد مثلا مُدللّا على أنواع التّناسب أيضا؛ ألا وهو التّناسب في القصص القرآني وغيره، نكتفي من الأنواع بما ذكر إذ نحسبه يفي غرض الذّكر المراد من البحث لا الاستقصاء والحصر.

ثانيا: أقوال العلماء في أهميته.

يعتبر علم المناسبات من العلوم العظيمة التي تكشف لنا عن وجوه إعجاز القرآن الكريم، لذا كان لهذا العلم أهمية بالغة وفوائد جمّة نذكر منها:

١. يُبيّن لنا أسرار ارتباط الكلام مع بعضه البعض، وهو ما أشار إليه الإمام البقاعي بقوله: " وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض؛ فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التآلف حاله حال البنيان المحكم المتلائم الأجزاء (٤١)"، كما قال أيضا في نظمه: " نسبة هذا العلم من علم التّفسير كنسبة علم البيان من علم النّحو(٤٢)"، ومن ذا الذي ينكر فضل كلّ علم هنا على الآخر؟ اللّهمّ إلاّ جاهل قد غلبه الكسل عن معالي الأمور.

٢. يفيد في معرفة أسرار التّشريع، وحكم الأحكام، وإدراك مدى التّلازم الكبير بين أحكام الشّريعة؛ فإذا قرأنا قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ (النّور: ٣٠)؛ وتعرفنا على المناسبة بين الأمر بغض

البصر وحفظ الفرج؛ علمنا ما بينهما من التّلازم والتلاؤم؛ فحفظ الفرج لا يتم إلاّ بغض البصر، فمن أطلق بصره في الحرام فحريّ أن تزل قدمه في الآثام.

٣. يعين على فهم الآيات القرآنية، وتحديد المراد منها، فأكثر لطائف القرآن الكريم مودعة في التّرتيبات والروابط بين الآيات والسّور، فهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول(٤٣)، وقد تحتار في شأنه أحيانا لقصورها عن الإدراك للمغازي الخفيّة للآيات التي هي موجودة حتما، لكن قد تهتدي إلى شيء منها، وقد لا تهتدي؛ فالقصور لها، لا لغيرها.

٤. يعمل على زيادة الإيمان وترسيخه في قلوب أهله، قال الإمام البقاعي في نظم الدّرر: " وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللّب، وذلك أنّه يكشف أنّ للإعجاز قرينين أحدهما : نظم كلّ جملة على حيالها بحسب التّركيب، والثّاني نظمها مع أختها بالنّظر إلى التّرتيب(٤٤) "، وقد رأينا من خلال بحثنا أنّ من أهل العلم و الصّنعة في هذا المجال من يلفت النّظر إلى مناسبة الآية بالآية جارتها سابقة أو لاحقة، وإن اختلفتا ظاهرا مضمونا؛ لكن بعد الكشف يتبيّن السّبب فيبطل العجب، ولا يكون إلاّ زيادة بعد في الإيمان، ومنهم يذهب إلى الرّبط بين الآيات المتباعدات في سور متجاورات؛ كالحال في سورة الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، حيث فصّل في الأخيرتين ما أجمل في الأولى بإشارات اهتدى إليها كثير من الأعلام.

٥. استيفاء كثير من معاني القرآن؛ يقول الإمام الفراهي: "ولمّا كان أكثر الحكم ومعالي الأمور مخبوءة تحت دلالات النّظم؛ فمن ترك النّظر فيه ترك من معنى القرآن معظمه (٤٥)"، وهذه دعوة إلى تنويع النّظر في مشارب فهم معاني القرآن الكريم؛ فمن كثرت زوايا الرّؤية عنده للنّظر في كتاب المولى-عزّ وجلّ- لا شكّ كان أقرب إلى الفهم الصّواب من المراد، وترك العتاب؛ فمن كثر علمه كاد يعذر النّاس جميعا(٤٦).

٦. زيادة اكتشاف متانة وجودة سبك القرآن؛ يقول الإمام الزّرقاني: " من فوائد علم المناسبات جودة سبك القرآن وإحكام سرده؛ ومعنى هذا أنّ القرآن الكريم بلغ من التّرابط بين كلماته، وآياته، ومقاطعه، وسوره مبلغا لا يدانيه أيّ كلام آخر (٤٧)".

٧. يدفع إيهام الاختلاف عن الآيات الكريمة؛ فقد يظنّ بعضهم أنّ الآيات نزلت في أوقات متباعدة وفي موضوعات متعددة فلا ارابط بينها، وأنّ هذا التّرابط بين الآيات والسّور، لون من ألوان البيان المعجز على الرّغم من تباعد الزّمان، واختلاف الموضوعات؛ فالوحدة الموضوعية في القرآن الكريم حقيقة ثابتة في كل سورة منه، وفي ذلك ردّ على ما ادعته الموسوعة الإسلامية الاستشرافية التي زعمت عند الكلام عن القرآن والتّرابط بين الآيات في السّور فقالت : " تتألف معظم السّور القرآنية من مقاطع ذات صلة ضعيفة فيما بينها، وغالبا ما توجد صلة ظاهرة، أو قوية فيما بينها (٤٨)"، وهذا كلام سبق وأن قيل فيه وفي من قال به: إنّ الصّلة كائنة، وموجودة لا محالة لكن العقول قد تدرك شطرا منها، وقد لا تدرك، وهي موجودة، واستتارها لا يعني عدم وجودها.

٨. يدلّ دلالة لغوية قوية في التّعرف على المراد من الآيات، ورفع اللّبس عن قصدها، ومرجّح قويّ من مرجّحات بعض المعاني على بعض عند تزاحمها، سواء ما جاء منها في آيات الأحكام، أو آيات القصص القرآني، أو الوعظ والتّوجيه، وغيرها.

٩. يبيّن سرّ التّكرار في قصص القرآن الكريم، وأنّ كل قصة أعيدت وذكرت في موطن فلمناسبتها ذلك الموطن فهي متّحدة في المعنى، وإن ذكرت أكثر من مرّة(٤٩)، والتّكرار في الألفاظ لا يفتح الباب أمام من يزعم –طاعنا في القرآن –أنّه حشو من الكلام المعاد والعياذ بالله، فالتّكرار اللّفظي فيه لغايات ربّانيّة عليّة سامقة يعجز في غالب الأحيان عن إدراكها.

١٠. ترجيح القول بتوقيفية ترتيب السّور القرآنية: لقد ذكر الأستاذ سعيد حوى(٥٠)، أنّ إبرازه لنظرية الوحدة القرآنية سيؤدي إلى أن يزداد " ترجيح بعض الجوانب التي وقع فيها خلاف، كقضية أنّ ترتيب السّور توقيفي، وليس اجتهادي، فمع أن جماهير الأمّة ذهبت إلى هذا، أي أنّ ترتيب السّور اجتهادي؛ فإنّ هذا التّفسير-يقصد كتابه الأساس-سيبرهن على هذا الموضوع بشكل عملي (٥١)".

هذا ويمكن القول بلا ضير: إنّ علم المناسبات علم دقيق المسالك خفي المدارك، فهو من العلوم التي تحتاج إلى بذل جهد في التّتبع والاستقصاء اللّغوي لدلالات الألفاظ القرآنية، وإحاطة بأسباب النّزول والتّوسع في أفانين علم البلاغة، والأساليب البيانية، وفوق كل ذلك ينبغي أن يكون الباحث ذا تقوى وورع، وحسّ مرهف، ونفس شفافة، وذكاء لمّاح، ليدرك سرّ هذا التّرتيب للآيات التي وضعت بجوار بعضها، بالإضافة إلى صبر وجلد، وعدم سرعة، وطول نفس، فهذا الإمام البقاعي خير شاهد على هذا حيث إنّه أمضى سنوات في تأليف تفسيره " نظم الدرر"، وقد قال في مقدمة تفسيره : " وربّ آية أقمت لتأمّلها شهورا منها: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران :١٢١)، ولعلّ ما كان من حال سّيد قطب في تفسيره "الظلال" خبر ليس ببعيد عمّا ذكر.

المطلب الثّالث: التّأليف في علم المناسبة بين الماضي والحاضر.

بداية تجدر الإشارة إلى أنّ كثيرا من العلماء والباحثين ذهبوا مذاهب عدّة في نسبة السّبق في التّأليف لهذا الفنّ والعلم الجليل، غير أنّه بدا لنا-بعد الجمع والاستقراء لما وصل إلينا من مخلّفات هؤلاء الأعلام وتراثهم، على غرار من جاء بعدهم-الأمر الآتي؛ مراعين في الأمر هذا التّسلسل الزّمنيّ ما استطعنا إليه سبيلا، وذلك على وفق النظام التّالي:

أوّلا: المؤلّفات التي تضمّنت علم المناسبات وغيره قديما وحديثا:

أ-كتب ومقالات في علوم القرآن:

١.الإمام الزّركشي (ت ٧٩٤هـ)، وكتابه " البرهان في علوم القرآن" الذي خصّص فيه فصلا عن معرفة المناسبات بين الآيات، وعنون له بالنّوع الثّاني: معرفة المناسبات بين الآيات(٥٢)، وقيل أنّه أوّل من تكلّم في هذا الموضوع وعليه المعوّل في معرفة تطوّر التّأليف في هذا العلم(٥٣).

٢. جلال الدّين عبد الرّحمن السّيوطي(ت٩١١هـ)، وكتابه" الإتقان في علوم القرآن"، حيث كان قد خصّص النّوع الثّاني والسّتين من كتابه للحديث عن مناسبات الآيات والسّور، ومعظم كتب علوم القرآن المعاصرة تتكلّم عن هذا النّوع من التّفسير.

هذا وقد اهتمّ العلماء المعاصرون بالتّناسب، وتناولوه في ثنايا دراستهم المتعلّقة بإعجاز القرآن الكريم، أو ببعض خصائصه الأسلوبية، أو البلاغية، ونحاول هاهنا عرض بعض هذه الكتب:

١. مصطفى صادق الرّافعي (ت١٩٣٧م)، وكتابه " تاريخ الأدب العربي ".

٢. سيّد قطب (ت ١٩٦٦م)، وكتابه " التّصوير الفني في القرآن "، وهو من المكثرين شيئا قليلا.

٣. حمّد عبد الله درّاز، وكتابه "النّبأ العظيم "؛ و"نظرات جديدة في القرآن".

٤. صبحي الصّالح، وكتابه " مباحث في علوم القرآن ".

٥. منّاع القطّان، وكتابه " مباحث في علوم القرآن ".

٦. عبد العظيم الزّرقاني، وكتبابه " مناهل العرفان ".

٧. مصطفى مسلم، وكتبه؛ " مباحث في التّفسير الموضوعي "، و" المعجزة والرّسول في ضوء سورة الفرقان و" المحاور والمناسبات لسور القرآن ".

٨. فاضل صالح السّامرّائي، وكتبه " بلاغة الكلمة في التّعبير القرآني"، و" لمسات بيانية في نصوص التّنزيل" و" التّعبير القرآني؛ دراسات بيانية في الأسلوب القرآني.

٩. زياد الدّغامين، وكتابه، " منهج البحث في التّفسير الموضوعي"، إلى غير ذلك من الكتب العديدة الأخرى.

ب- كتب التّفسير القديمة والحديثة:

لا غرو أنّه لا تكاد تخلو معظم كتب التّفسير القديمة والحديثة من الإشارة إلى ربط الآيات بما قبلها والأعلام المفسّرون منهم المتوسّع في ذلك، ومنهم المقلّ المختصر، ويعدّ الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) في تفسيره، " جامع البيان في تأويل آي القرآن" من أوائل من تطرّق لإشارات لطيفة من المناسبة بين الآيات من باب السّياق والسّباق(٥٤)، وقد سبقت الإشارة، و التّنبيه إلى أنّ أوّلية ذكر المناسبات في كتب التّفسير مازالت مجهولة، وغير واضحة تمام الوضوح إلى حدّ الساعة- فيما علمنا-، غير أنّ أوّل إشارة صريحة في هذا الباب تعود- كما قال أعلامنا- إلى الإمام الجويني(ت٤٣٨هـ)، والد إمام الحرمين، وذلك في تفسيره؛ حيث أشار إلى أبي الحسن الدّهان، أمّا إفراد المناسبة بالتّأليف فلعلّ الأولويّة فيه ترجع للعالم الذي ذكره الإمام بن العربي مبهما، ثمّ تبعه بن العربيّ نفسه(٥٥)، كما نجد من المفسّرين من خاض في هذا العلم، ولكن بدرجات متفاوتة نذكر منهم على سبيل المثال:

١. أبو السّعود محمّد بن محمّد العمادي، وكتابه" إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم ".

٢. محمّد بن يوسف الشّهير بأبي حيّان الأندلسي، وكتابه (البحر المحيط).

٣. الشّيخ سعيد حوّى، وكتابه " الأساس في التّفسير ".

٤. الإمام البيضاوي، وكتابه " أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل ".

٥. الأستاذ محمّد الطّاهر بن عاشور، وكتابه " التّحرير والتّنوير ".
٦. الدّكتور وهبة الزّحيلي، وكتابه " التّفسير المنير ".
٧. الإمام شهاب الدّين محمّد الألوسي، وكتابه "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني ".
٨. الأستاذ سيّد قطب، وكتابه " في ظلال القرآن ".
٩. الإمام الفخر الرّازي، وكتابه " مفاتح العيب ".

إلى غيره من الكتب الجليلة التي تناولت الموضوع بشكل ما، وهذا ما تيسّر لنا ذكره وغيره ممّا لم يذكر كثير؛ تناول الموضوع من زوايا مختلفة دالّة بذلك على عجيب أمر الكتاب العزيز الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم؛ أحكمت آياته حتّى لا حياة للعباد خارجها، اللّهمّ إلاّ حياة الضّيق والنّكد، والهمّ والغمّ، حميد يستحقّ الشّكر على الهداية لهذا الدّستور الرّبّاني الذي لا تعديل فيه ولا عليه، ولا له فقد تمّ باليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي.

ويمكن القول ها هنا إنّ علم المناسبات من العلوم العظيمة؛ لأنّه يتعلّق بأعظم الكتب، وهو القرآن الكريم ولقد تنبّه العلماء القدامى والمحدثون لذلك؛ إذ كتبوا حول المناسبة بين الآيات، وبحثوا عن الصّلة والمناسبة بين سور القرآن عامّة وكانوا بين مقلّ ومكثر، وهؤلاء العلماء والمفسرون الذين ارتبطت أسماؤهم بعلم المناسبات القرآنية نحسبهم على ثلاثة أقسام، والفيصل في ذلك؛ مدى طول المكث عند التماس المناسبة بين الآيات من عدمه، ومدى درجة السّبق إلى ذلك، بالإضافة إلى درجة التّخصّص ومدى التّأليف في ذلك، وهؤلاء هم:

- ✓ – الذين نقل عنهم مشافهة، أو كتابة القول بالتّناسب والانتصار له.
- ✓ – أهل التّفسير في تفاسيرهم.

✓ – الذين كتبوا عن التّناسب القرآني كتبا خاصة، أو جعلوه ضمن فصول كتبهم.

وإنّنا ها هنا نحاول –وفي سياق واحد–، ذكر بعض من هؤلاء الأعلام دون الحرص على الاستقصاء في هذا المقام لصعوبته، فضلا على أنّه ليس المقصود من هذا البحث.

بعضٌ من أبرز المفسرين والعلماء الذين كتبوا في التّناسب، أو انتصروا له:

١. شيخ المفسرين أبو جعفر الطّبري(ت٣١٠هـ)، في تفسيره، والأمثلة كثيرة، ولعلّ منها قوله في الآية(٢١) من سورة البقرة فليرجع إليه.

٢. الإمام أبو بكر النّيسابوري (ت ٣٢٤هـ): ويعتبر العلماء الشّيخ أنّ الإمام أبا بكر النّيسابوري أوّل من أظهر علم المناسبات في بغداد، فقد كان يزري علماء بغداد لعدم علمهم بوجه المناسبة بين الآيات، فكان إذا قرأت عليه آية أو سورة يقول: " لم جعلت هذه الآية بجنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السّورة إلى جنب هذه السّورة؟ (٥٦) ".

٣. القاضي عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ): صاحب نظرية النّظم، الذي هو بحسب تعبيره: " تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض (٥٧)"، ولذلك فالنّظم هو الإعجاز الحقيقي للقرآن الكريم عنده.

٤. الإمام جار الله محمود بن عمر الزّمخشري(ت٥٣٨هـ)، حيث قال في مقدّمة كتابه الكشّاف:" الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما، ونزّله بحسب المصالح منجما، وجعله بالتّحميد مفتتحا، وبالاستعاذة مختتما (٥٨)".

٥. القاضي أبو بكر بن العربي (ت٥٤٣هـ) : حيث قال في" سراج المريدين عن علم المناسبات هو:" ارتباط بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني، علم عظيم لم يتعرض له إلاّ عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح

الله –عز وجل– لنا فيه، فلمّا لم نجد له حملة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه (٥٩)".

٦.الإمام فخر الرّازي (ت٦٠٦هـ): حيث تميّز بالإكثار من التماس المناسبات في تفسيره، وفي الحقيقة يحتاج تفسيره الكبير دراسات وأطروحات في هذا الباب تحديدا، ولما لا تبنّي مخابر بحث هذا العمل والقيام بنشر موسوعة علمية في الباب كلّه فهو عمل جبّار لعلم فائق الحسن والبهاء العلميّ.

إلى غير ذلك من السّادة الأعلام الذين خاضوا عرضا أو وقوفا في هذا الفنّ على غرار الأئمّة: كمال الدّين الزّملكاني(ت٦٥١هـ)، وأبو جعفر بن الزّبير الغرناطي (ت٧٠٨هـ)، والإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، وبدر الدّين الزّركشي (ت ٧٩٧هـ)، و برهان الدّين البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، و جلال الدّين السّيوطي (ت٩١١هـ)...إلخ.

ولعلّ من المحدثين نذكر على عجل: محمد عبد الله درّاز (ت١٩٥٨م)، سيد قطب (ت ١٩٦٦)، سعيد حوى (ت١٩٨٩م)، عناية الله أسد سبحاني...

هذا ولقد كان لبعض العلماء الأعلام إسهامات متفاوتة في هذا المجال ونذكر منهم:

– شيخ الإسلام ابن تيمة في تفسيره لسورتي الفاتحة والإخلاص(٦٠).

– ابن قيم الجوزية في تفسيره لسورة الفاتحة، والمعوذتين(٦١)، وقد حاول محمّد أحمد السّنباطي أن يجعل من الإمام ابن القيم رائدا لهذا الاتجاه(٦٢)، وتابعه في ذلك الدّكتور زاهر بن عوض الألمعي في كتابه: " دراسات في التّفسير الموضوعي للقرآن الكريم (٦٣)"، كما تعرض "الفيروز أبادي" لبيان الأهداف والمقاصد لسور القرآن الكريم في كتابه: "بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز(٦٤) ".

وتجدر الإشارة أيضا إلى أنّ هناك من اعترض على التّناسب؛ وهم نزر قليل، ولعلّ في طليعة هؤلاء الأعلام نذكر:

١) الإمام العزّ بن عبد السّلام (ت ٦٦٠هـ): حيث يقول: " المناسبة علم حسن؛ ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في متّحد مرتبط أوّله بآخره؛ فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر(٦٥)" والكلام ها هنا لا يخفى ما فيه من الشّرط؛ فلكأنّه يجيز منه شيئا بشرط.

٢) الإمام الشّوكاني (ت١٢٥٠هـ)؛ حيث يقول: " اعلم أنّ كثيرا من المفسّرين جاؤوا بعلم متكلّف، وخاضوا في بحر لم يتكلفوا سباحته واستغرقوا في فنّ لا يعود عليهم بفائدة (٦٦)". غير أنّ الإمام الشّوكانيّ قال بالمناسبة في كم من آية، ولعلّ منها قوله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ (سورة المائدة:٨٢)،" هذه جملة مستأنفة؛ مقررة لما قبلها من تعداد مساوئ اليهود وهناتهم؛ وذلك بشدّة عداوتهم للمسلمين (٦٧)". والأمثلة كثيرة في هذا القبيل تحتاج إلى إفراد بالدّراسة.

✓ **المؤلّفات المفردة في علم المناسبات؛ بخاصّة المناسبات في السّورة وبين السّور:**

المؤلّفات القديمة:

١. أوّل من أفرد هذا العلم بالتّأليف فعلا هو العالم الذي أشار إليه أبو بكر بن العربي(ت٥٤٣هـ) في كتابه " سراج المريدين "، أنّه سبقه في تّأليف تفسير عن سورة البقرة، ومازال هذا العالم مجهولا (٦٨).

٢. ثمّ تبعه أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ)، والذي ألّف كتابا عنوانه " ترتيب آي القرآن "، الذي قال فيه:" وأمّا تعلّق السّور على ترتيب الإمام، واتّفق عليه الصّحابة الأعلام فممّا لم يتعرّض له فيما أعلم، ولا قرع هذا الباب ممّن تأخّر أو تقدّم...⁽⁶⁹⁾.

٣. أبو جعفر بن الزّبير الغرناطي(ت ٧٠٨هـ)، في كتابه " البرهان في ترتيب سور القرآن " حقّقه محمّد شعباني ونال به دبلوم الدّراسات العليا من دار الحديث الحسنية، وقد شاع خطأ أنّه أوّل من ألّف في هذا العلم ⁽٧٠⁾ ؛ حيث قال: " أمّا ترتيب السّور على ما ترتّب في الإمام، أو اتّفق عليه الصّحابة الأعلام؛ فممّا لم يتعرّض له- فيما نعلم- ولا قرع أحد هذا الباب، ممّن تأخّر أو تقدّم ⁽٧١⁾ "، وقد كان في منتهى الأدب؛ إذ أشار إلى أنّ له قدم السّبق في الخوض في غمار، وعباب هذا البحر العميق في حدود علمه، وما انتهى إليه من الأخبار، على تباعد الأمصار الأمر الذي يؤدّي إلى التماس الأعذار.

٤. الإمام برهان الدّين إبراهيم بن عمر الرّباط البقاعي (ت ٨٨٥هـ): يعدّ هو أوّل من ألّف تفسيرا موسّعا شاملا لتناسب الآيات والسّور، وسمّاه " نظم الدّرر في تناسب الآي والسّور"، طبع الكتاب أوّلا في الهند عام ١٩٦٩م، ثمّ أعيد طبعه في بيروت، وقد حظي الكتاب بدراسات عديدة منها، دراسة حسن أحمد جبر تحت مسمّى" كتاب نظم الدّرر في تناسب الآي و السّور للإمام البقاعي، تحقيق ودراسة على سورتي آل عمران، والنّساء وهي رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر سنة ١٩٨٤م، وغيرها من الدّراسات الأخرى ⁽٧٢⁾ ، وللإمام البقاعي تلخيص لهذا التّفسير سمّاه " دلالة البّرهان القويم على تناسب آيات القرآن العظيم " ⁽٧٣⁾ ، كما أنّ للإمام البقاعي كتابا آخر له علاقة بالتّناسب، حيث ركّز فيه على مقصد كلّ سورة ومحورها، وعلاقة تسميتها بمضمونها عنوان هذا الكتاب هو " مصاعد النّظر للإشراف على مقاصد السّور " بتحقيق عبد السّميع محمّد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرّياض، سنة: ١٩٨٧م⁽٧٤⁾.

٥. الإمام جلال الدّين السّيوطي(ت٩١١هـ): لقد ألّف الإمام عدّة كتب في هذا العلم وهي:

أ- أسرار التّنزيل المسمّى (قطف الأزهار في كشف الأسرار)، طبع الكتاب بتحقيق أحمد الحمّادي، وهو في الأصل رسالة دكتوراه في جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية سنة ١٩٩٢م (٧٥).

ب- تناسق الدّرر في تناسب السّور: وهو في الحقيقة تلخيص لكتاب (قطف الأزهار).

ت-مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع؛ وهو يتناول بحث التّناسب بين فواتح السّور وخواتمها.

٦.محّمد بن المبارك المعروف بحكيم شاه القزويني (ت ٩٢٠هـ): له كتاب في هذا العلم سمّاه " ربط السّور والآيات " (٧٦).

٧.محمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢هـ): هو حفيد الإمام الألوسي المفسّر المعروف المشهور، لمحمود شكري هذا تفسير سمّاه " منتهى العرفان وفصل المحض في ربط بعض الآيات ببعض "لم يكتب منه إلا النّزر اليسير(٧٧) هذا وقد قيل أنّ أوّل من أظهر هذا العلم ببغداد هو الإمام أبو بكر النّيسابوري (ت ٣٢٤هـ)، حيث كان يقول: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السّورة إلى جنب هذه؟، وكان يزري علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة(٧٨).

المؤلّفات الحديثة:

١. عبد الله بن مجمود الصّديق الغماري في كتابه " جواهر البيان في تناسب سور القرآن " (٧٩)طبع الكتاب في القاهرة عام ١٩٧٩م، ثمّ أعيد طبعه في دار عالم الكتب بيروت-لبنان، عام ١٩٨٦م.

٢. المولودي أشرف علاء التّهانوي: في كتابه " سبق الغايات في نسق الآيات " (٨٠).

٣.الشّيخ عبد الحميد الفراهي الهندي (ت ١٩٣٠م): في كتابه " دلائل النّظام"، المناسبة عنده داخلة ضمن النّظام(٨١).

٤. الإمام بديع الزّمان سعيد النّورسي التّركي(ت١٩٦٠م): في كتابه " إشارات الإعجاز في مظانّ الإيجاز "، هو تفسير طبّق فيه إيضاح المناسبات في سورة الفاتحة، والآيات الثّلاثين الأول من سورة البقرة، وعلاقة مفردات الآية فيما بينها، طبع الكتاب في بيروت، مؤسّسة الخدمات الطباعية، ط١ سنة ١٩٧٤م.

٥.محمّد محمود حجازي، في كتابه "الوحدة الموضوعية للقرآن" (٨٢).

٦. أحمد حسن فرحات، في كتابه " فكرة المناسبات بين آيات القرآن وسوره" بحث مخطوط(٨٣).

٧.عبد الحكيم أنيس، في كتابه " أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية "، وقد سبق الإشارة إليه.

وهناك كتب، ومقالات، ورسائل دكتوراه، وماجستير حديثة عالجت موضوع التّناسب نذكر منها:

- حمّد أحمد القاسم، "الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره"، ط١، دار المطبوعات الدّوليّة، القاهرة–مصر، سنة ١٩٧٩م.
- حمّد عناية الله محمّد هداية الله، "إمعان النّظر في نظام الآيات والسّور"؛ رسالة ماجستير، كلّيّة أصول الدّين جامعة الإمام محمّد بن سعود، سنة: ١٩٨١م.
- أحمد أبو زيد،" التناسب البياني في القرآن، دراسة في النّظم المعنوي والصّوتي"؛ رسالة دكتوراه جامعة محمّد الخامس، الرّباط، سنة: ١٩٩٢م.

- نور الدّين عتر، "علم المناسبات وأهميّته في تفسير القرآن"؛ مجلّة كلّيّة الدراسات الإسلامية والعربيّة، العدد ١١، دبي، سنة: ١٩٩٥م.
- نور الدّين عتر، " أثر المناسبة في الكشف عن إعجاز القرآن"، مجلّة كلّيّة الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة، العدد ١٣، دبي، سنة ١٩٩٦م.
- إبراهيم بن سليمان آل هويمل، "علم المناسبات بين المانعين والمجيزين"، منشور في مجلّة الإمام محّمد بن سعود الإسلامية، سنة ٢٠٠٠م، العدد ٢٥.

خاتمة:

ممّا ينبغي التّركيز على ذكره، والدّعوة إليه؛ أنّ علم المناسبة على في غاية الأهمّية المفضية إلى اكتشاف وسبر أغوار شيء من أسرار الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ فلم لا يحظى بمزيد إتمام خاصّة من مراكز البحث والجامعات؛ كأن يؤلّف كتاب تفسير يتناول مختلف جنبات علم المناسبة؛ من لغة وبيان وبلاغة وأسباب نزول...إلخ ممّا يزيدنا فهما وإفهاما لكتاب ربّنا رسالة العالمين. وإن خفي التّناسب فلا يعنى هذا عدم وجوده قطعا، بل هو موجود حتما فقط كثير من البحث الجاد والمخلص وبعدها الهداية أكيدة.

يتبع–إن شاء الله–بحث في علم الفاصلة وأثره في توليد وتجلّيات المعاني القرآنيّة.

الهوامش

---

(١) – محمّد عبد الله درّاز: فقيه متأدب مصري، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر له كتب منها: دستور الأخلاق في القرآن والدّين، ومدخل إلى القرآن الكريم، ينظر: محمّد خير يوسف، تتمة الأعلام، ٢٤٦/٦.

(٢) – محمّد عبد الله درّاز، النّبأ العظيم، د ط، دار الثّقافة، الدّوحة–قطر، سنة: ١٩٨٥م، ص: ١٥٥.

(٣) – محمد مرتضى الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس/تحقيق: عليّ شيري، ط١، دار الفكر، بيروت–لبنان،١٩٩٤م ٤٣٠/٢.

(٤)– أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللّغة/ تحقيق: عبد السّلام هارون، د ط، النّاشر اتّحاد الكتّاب العرب، سنة: ٢٠٠٢م ٣٤٠/٥.

(٥) – مصطفى مسلم، مباحث في التّفسير الموضوعي، د ط، دار القلم، دمشق–سوريا، سنة: ٢٠٠٥م ٥٨/١.

(٦) – مع أنّه من المتأخّرين إلاّ أنّه أبدع، ممّا يضع المقولة الشّهيرة: " ما ترك الأوائل للأواخر من شيء " في الزّاوية لتصبح: {كم ترك الأوائل للأواخر من أشياء}، داعية إلى الجدّ والاجتهاد، وعدم القنوط والتّقاعس عن البحث العلمي.

(٧) – عطّا حسن سامعي، المناسبات بين الآيات والسّور، فوائدها، وأنواعها، وموقف العلماء، ينظر موقع: www.saaid.net

(٨) – عبد الله الخطيب، ومصطفى مسلم، المناسبات وتأثيرها على تفسير القرآن الكريم، ينطر الموقع: www.sharja.ar.ae.

(٩) – بدر الدّين الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ط١، دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابيّ الحلبيّ وشركائه ثمّ صوّرته دار المعرفة، بيروت–لبنان، سنة: ١٩٥٧م: ٦٤/١.

(١٠) – عبد الله الخطيب، ومصطفى مسلم، ينطر الموقع:www.sharja.ar.ae

(١١) – إبراهيم البقاعيّ، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور/ تحقيق عبد الرّزاق غالب المهدي، د ط، دار الكتب العلميّة، بيروت–لبنان، سنة: ١٩٩٥م: ٢/١٥٥.

(١٢) – واسم الأصيرم هو عمرو بن ثابت بن وقش الأنصاري، ينظر: يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب /تحقيق: محمّد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت–لبنان، سنة ١٩٩٢م، ٣/١١٦٧.

(١٣) – عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، مختصر سنن أبي داوود، ط٣، دار المعرفة، بيروت–لبنان، د س، ٣/٣٨٢.

(١٤) – عبد الله الخطيب، ومصطفى مسلم، المناسبات وتأثيرها على تفسير القرآن الكريم، ينظر الموقع: www.sharja.ar.ae وعطّا حسن سامعي، ينظر موقع: www.saaid.net.

(١٥) – الطّباق هو: الجمع بين الشّيء وضدّه في جزء من أجزاء الرّسالة أو الخطبة أو البيت من القصيدة، ينظر: أبو هلال العسكري الصّناعتين الكتابة والشّعر/تحقيق/ محمّد البجاوي، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، د ط، دار المكتبة العنصريّة، بيروت–لبنان، سنة: ١٤١٩هـ: ١/٣٠٩.

(١٦) – المقابلة هي: إيراد الكلام ثمّ مقابلته بمثله في المعنى واللّفظ على جهة الموافقة، أو المخالفة، ينظر: أبو هلال العسكري، المرجع السّابق: ١/٣٣٧. وينظر: الإمام الزّركشي، البرهان في علوم القرآن:٣/٤٥٨.

(١٧) – عطّا حسن سامعي، ينظر موقع: www.saaid.net

(١٨) – المرجع السّابق نفسه.

(١٩) – بدر الدّين الزّركشي، المرجع السّابق:١/٧٥.

(٢٠) – الاستطراد هو: أن يأخذ المتكلّم في معنى، فبينما يمرّ فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الأوّل سببا إليه، ينظر: أبو هلال العسكري، الصّناعتين: ١/٣٩٨.

(٢١) – جلال الدّين السّيوطي، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع/ تحقيق: محمّد يوسف الشّربجي، مكتبة الأحمدية العدد الرّابع، دبي أوت: ١٩٩٩م، ص٨١.

(٢٢) – أبو حيّان الأندلسي، النّهر الماد من البحر المحيط/ تحقيق: عمر الأسعد، ط١، دار الجيل، بيروت–لبنان، سنة ١٩٩٥م ٢/٦٧، وينظر: كلام الإمام أبي حيّان عند كلامه عن مناسبة افتتاحيّة سورة البقرة لخاتمتها، البحر المحيط:١/٤١٩.

(٢٣) – مسلم بن الحجّاج القشيري، صحيح مسلم/ تحقيق: محمّد بن نزار تميم وهيثم بن نزار تميم، ط٢، شركة دار الأرقم بن الأرقم بيروت–لبنان، سنة ١٩٩٩م، كتاب صلاة المسافر وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم الحديث ١٨٣٥ ص٣٦٠.

(٢٤) – مصطفى مسلم، مباحث في التّفسير الموضوعي، ص١٨٦–١٩٢–١٩٧–٣٢٩.

(٢٥) – سيّد قطب، في ظلال القرآن، ط١٧، دار الشّروق، بيروت والقاهرة، سنة: ١٤١٢هـ: ٤/٢٢٥٧.

(٢٦) – المكي ابن عقيلة، الزّيادة والإحسان في علوم القرآن، مجموعة رسائل جامعية، بإشراف مركز البحوث بجامعة الشّارقة، سلسلة النّشر العلمي، رقم (٣٨) الشّارقة، ط١، سنة ٢٠٠٦م: ١/٢٩٢–٢٩٤.

(٢٧) – الإمام البقاعي، نظم الدّرر: ١/١٢.

(٢٨) – البقاعي، المرجع السّابق: ٢/٣٨٤.

(٢٩) – أبو جعفر بن الزّبير الغرناطي، ملاك التّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتّعطيل في توجيه متشابه اللّفظ من آي التّنزيل/ وضع حواشيه عبد الغني محمّد علي الفاسي، دار الكتب العلميّة، بيروت–لبنان، د ط، د س: ١/٢٣.

(٣٠) – برهان الدّين الزّركشي، البرهان في علوم القرآن: ١/٣٨.

(٣١) – جلال الدّين السّيوطي، تناسق الدّرر، ص٩٥.

(٣٢) – البقاعي، نظم الدّرر: ٤/٤٤١.

(٣٣) – جلال الدّين السّيوطي، تناسق الدّرر، ص٩٩.

(٣٤) – الفخر الدّين الرّازي، التّفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، ط٣، دار إحياء التّراث العربيّ، بيرول–لبنان، سنة، ١٤٢٠هـ: ٤٢١/٧.

(٣٥) – جلال الدّين السّيوطي، تناسق الدّرر، ص:١٠٢.

(٣٦) – جلال الدّين السّيوطي، المرجع السّابق: ص: ١٢٠.

(٣٧) – هو محمود بن حمزة الكرماني، النّحوي؛ المعروف بتاج القرّاء، له شرح على البخاري، وشرح اللّمع لابن جنّي وخطّ المصحف ولباب التّأويل؛ المشهور باسم العجائب والغرائب، توفي سنة ٥٠٥هـ، ينظر: أحمد بن محمّد الأدنروي، طبقات المفسّرين/ تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١، مكتبة العلوم والحكم، السّعوديّة، سنة: ١٩٩٧م، ص١٤٩، وخير الدّين الزّركلي، الأعلام، موقع اليعسوب في المكتبة الشّاملة، ٣١٧/١١.

(٣٨) – محمود بن حمزة الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، (أسرار التّكرار في القرآن كما سمّاه المحقّق) / تحقيق: عبد القادر أحمد عطّا، مراجعة وتعليق أحمد عبد التّواب عوض، د ط، دار الفضيلة القاهرة–مصر، د س:٢٣٢/١.

(٣٩) – الطّباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ط١، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت–لبنان، سنة: ١٩٩٧م ٧/١٤.

(٤٠) – فاضل صالح السّامرّائي، التّعبير القرآني، ط١، دار عمار، عمان، سنة ١٩٩٨م، ص٢٢٤.

(٤١) – البقاعي، نظم الدّرر:

(٤٢) – البقاعي، المرجع السّابق:١٣/٣.

(٤٣) – جلال الدّين السّيوطي، الاتقان في علوم القرآن: ١٤/١.

(٤٤) – البقاعي، المرجع السّابق، ٦١/١.

(٤٥) – الفراهي، دلائل النّظام،، الدائرة الحميدية ومكتبتها، الهند، سنة ١٣٨٨هـ، ص٣٨.

(٤٦) – وهنا حادثة صادفت حياتنا يوما خرجنا منها بهذه القاعدة، وذلك أنّنا صلّينا خلف إمام كان يقرأ الفاتحة بطريقة لم نعهدها مطلقا؛ إذ كان كأنّه يقرأ الصّاد فيها زايا؛ فسألنا أهل الاختصاص فأقرّوه على قراءته؛ باعتبار شيء في القراءة يقال له الإشمام في حرف الصّاد لكأنّه زاي، وليس هو كذلك كما بدا لنا أوّل مرّة أنّه خطأ.

(٤٧) – عبد العظيم الزّرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، د ط، دار إحياء الكتب العربيّة القاهرة–مصر، د س، ص٤٥.

(٤٨) – عبد الله الخطيب ومصطفى مسلم، المناسبات وأثرها في تفسير القرآن الكريم، ص٢٠.

(٤٩) – البقاعي، نظم الدّرر، ص٦٠.

(٥٠) – سعيد حوى (١٩٣٥–١٩٨٩م)، من حماة بالشّام، أحد قيادات ومنظري الإخوان المسلمين، صنف: الأساس في السّنّة والله جل جلاله، والرّسول والسّلام، وعدد من الكتب الفكرية والحركية، ينظر: يوسف محمّد خير، تتمة الأعلام ص١٢٠٧ –١٢٠٩.

(٥١) – حوى سعيد، هذه تجربتي وهذه شهادتي، مكتبة وهبة، مصر، ط١، ١٩٨٧ م، ص:١١٢، وأحمد الشّرقاوي، نظرية الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال كتاب الأساس في التفسير، رسالة ماجستير في أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن جامعة الأزهر، ١٩٩٤م. وينظر: www.saaid.net www.tafsir.net

(٥٢) – بدر الدّين الزّركشي، المرجع السّابق،١/٣٥.

(٥٣) – عبد الله الخطيب، ومصطفى مسلم، المرجع السّابق، ص٢٢.

(٥٤) – رأى هذا الرّأي الشّيخ نور الدّين عتر، في مقالته علم المناسبات وأهميّته في تفسير القرآن الكريم، ص٧٨–٨٨، وينظر أيضا: الإمام السّيوطي مراصد المطالع في تناسب المقاطع، ص٨١.

(٥٥) – عبد الحميد الأنيس، أضواء على ظهور علم المناسبة، ص٤٦–٥٨.

(٥٦) – بدر الدّين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٦/١.

(٥٧) – عبد القاهّر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص٥٤.

(٥٨) – الزّمخشري، تفسير الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التّأويل/ ضبطه ورتبه: محمّد عبد السّلام شاهين، ط١، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، سنة ١٩٩٥، ٦/١.

(٥٩) – بدر الدّين الزّركشي، المرجع السّابق، ٣٦/١.

(٦٠) – ينظر أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دقائق التّنظير/ جمع وتحقيق: محمّد السيد الجليند، دار النّصار، القاهرة–مصر، د س. ص ٥١.

(٦١) – محمّد بن أبي بكر بن القيم، التّفسير القيم/ جمعه محمّد أويس النّدوي ، لجنة التّراث العربي، بيروت–لبنان ، د س. ص٧١.

(٦٢) – محمّد أحمد السّنباطي، منهج ابن القيم في التّفسير، د ط، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة–مصر، سنة ١٩٧٣م. ص ٢١٠.

(٦٣) – زاهر عوض الألمعي، دراسات في التّفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ط١، مطبعة الفرزدق، جدة، سنة ١٩٨٥م. ص ١١١.

(٦٤) – محمّد بن يعقوب الفيروز أبادي، بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز/ تحقيق: محمّد علي النّجار، مطابع شركة الإعلانات الشّرقية، القاهرة–مصر، د س.

(٦٥) – العزّ بن عبد السّلام، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، وبذيله: نبذة عن مقاصد القرآن الكريم/ تحقيق: محمّد حسن ط١، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، سنة١٩٩٥م، ص٣٣٨– ٣٣٩، ونقله الزّركشي في البّرهان بتغيير طفيف: ٦٣/١.

(٦٦) – الشّوكانيّ، فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية من علم التّفسير/ تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط٢، دار الوفاء بالمنصورة، سنة١٩٩٧م: ١/١٧١–١٧٤.

(٦٧) – الشّوكانيّ، فتح القدير، ٢/٦٧.

(٦٨) – عبد الله الخطيب، ومصطفى مسلم، المناسبات وتأثيرها على تفسير القرآن الكريم، ينطر الموقع: www.sharja.ar.ae

(٦٩) – ابن الزّبير الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، طبعة وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية بالمغرب/ دراسة وتحقيق: الأستاذ محمّد شعباني، ص:١٨١.

(٧٠) – عبد الله الخطيب، ومصطفى مسلم، المرجع السّابق، ص:٢٢.

(٧١) – ابن الزّبير الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، ص١٨١.

(٧٢) – عبد الله الخطيب، ومصطفى مسلم، المرجع السّابق، ص٢٢.

(٧٣) – علي شوّاخ إسحاق، معجم مصنّفات القرآن الكريم، ط١، دار الرّفاعي، الرّياض، سنة ١٩٨٤م، ١/٥٠.

(٧٤) – عبد الله الخطيب، ومصطفى مسلم، المرجع السّابق، ص:٢٢.

(٧٥) – حيدر حازم سعيد، علوم القرآن بين البرهان والإتقان دراسة مقارنة، د ط، مكتبة دار الزّمان للنّشر والتّوزيع، المدينة المنوّرة سنة: ١٩٩٩م، ص: ١٥١.

(٧٦) – علي شوّاخ إسحاق، معجم مصنّفات القرآن الكريم، ١/٥١.

(٧٧) – عبد الحكيم الأنيس، أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية، ص ٥٤.

(٧٨) – بدرالدّين الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/٣٦.

(٧٩) – محمّد يوسف الشّربجي، تحقيق مراصد المطالع، صدر عن دار الكلم الطّيب بدمشق بتحقيق الدّكتور

محمّد يوسف الشّربجي أستاذ التّفسير وعلوم القرآن في كليّة الشّريعة بجامعة دمشق، والكتاب جاء في ٩٠ من القطع الصّغيرة، وقد أشار المؤلّف أنّ المكتب الإسلامي للنّسر في القاهرة قام بطباعة الكتاب ونشره باسم المؤلّف ودون إذنه: ص٨١. والكتاب فيه لطائف جليلة القدر؛ حيث يربط الإمام السّيوطيّ بين مطلع السّورة وخاتمتها في أبهى سورة وأروعها فجزى الله المؤلّف والمحقّق خير الجزاء ومن سار على دربهما خدمة للكتاب العزيز.

(٨٠) – محمّد يوسف الشّربجي، المرجع السّابق، ص٨١.

(٨١) – أحمد حسن فرحات، في علوم القرآن عرض ونقد وتحقيق، ط١، دار عمّار للنّشر والتّوزيع، سنة: ٢٠٠١م، ص٧٤.

(٨٢) – نور الدّين عتر، علم المناسبات وأهمّيته في تفسير القرآن الكريم، مجلّة كلّيّة الدّراسات الإسلامية والعربية، دبي، سنة١٩٩٥م العدد ١١، ص٨٩.

(٨٣) – أحمد حسن فرحات، المرجع السّابق، ص٧٤.

Summary

Praise be to Allah , and peace and blessings be upon His messengers , and after:
This search is talking about an aspect of the graph in the miracle of the Koran , which is entitled "The Science of appropriate in the Koran .. importance and methods of authoring it." We knew the science appropriate to mean that the language of the approach and Almchaklh , but in the terminology it means likely : the link between the two things in any way , and in the book of God means the link Sura including before and after which the verses mean the link in each verse , including before and after , as mentioned kinds of occasions in the Qur'an , and the sayings of scholars in importance. As that of the two main types are: events in one sura , and events between the fence . As for scholarly in its importance ; , the science of proper usefulness make the parts of speech , some taking Boanaq some ; Victory the this link, and it becomes harmony unchanged if the architecture arbitrator Almtlaúm parts , as it is useful to know the secrets of the legislation , and the rule of provisions , and to recognize the extent of the correlation is high between Sharia , as for the singled out this science authorship actually the one who seems to be is the world referred to by Abu Bakr ibn Arabi (d. 543 AH) in his book, " Siraj willing" , he was preceded in written interpretation of Sura, and still the world is unknown , has been rolled writings and compositions in this art , then we move on to talk about the importance of science events , and the scholarly . As the

importance of this science that shows us the secrets of a link to speak with each other , as stated in the statement of the secrets of the legislation , as posted on the understanding of the Quranic verses ... to recall the words of the scholars ; They were among its supporters Someone Like commentators Sheikh Abu Ja'far Tabari (d. 310 AH) in his interpretation , and Imam Abu Bakr Alnisabu (d. 324 AH) ... and NAF his evil presence ; they are few , perhaps including Izz ibn Abdul Salam (d. 660 AH) , and Imam Shawkaani (d. 1250 AH) , has answered all the objections following including leaves no doubt a way that does not fit between the verses holds dear ; and here we can say that there is no hidden proportionality means that it does not exist absolutely , it is inevitably exists just a lot of serious research and Savior , and after the firm guidance .